جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تصوير المسافات في مقامات الترغيب والترهيب في الذكر الحكيم

الدكتورة

آمال يوسف موسى المغامسي

قسم اللغة العربية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة طيبة - بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

تصوير المسافات
في مقامات الترغيب والترهيب في الذكر الحكيم

آمال يوسف موسى المغامسي

قسم اللغة العربية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ بجامعة طيبة ـ بالمدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Ameam5y@gmail.com

الملخص

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الصور الفنية التي شكلتها المسافات وأوصافها من: طول وعرض، وقرب وبعد، وسعة وضيق، ونحو ذلك، المذكورة في مقامات الترغيب والترهيب التي يحفل بها القرآن الكريم، وذلك من خلال تمهيد تعرّض لمفهوم الصورة، ومفهوم المسافة، ومفهوم المقام، والمقصود بالترغيب والترهيب، ومبحثين: اعتنى الأول منهما بدراسة صور المسافات في مقام الترغيب، ودرس ثانيهما صور المسافات في مقامات الترهيب، ومن ثم خاتمة عُرضت فيها أبرز النتائج، ومن أهمها: أن القرآن الكريم استعمل أنماطًا عدّة في تصوير المسافة في مقامات الترغيب والترهيب، مثل: الاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتصوير بالوصف والنظم، وبإيحاء الكلمة وظلالها الدلالية، وبالقصّ، ووردت هذه الأنماط بشكل متقارب في المواضع المدروسة، ولم يظهر إيثار استعمال لون أو أكثر بعينه في مقام دون آخر.

الكلمات المفتاحية : الصورة، المسافة، الترغيب، الترهيب.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Photographing distances In the places of encouragement and intimidation in the wise remembrance

Amal Youssef Musa Al Maghamsi

Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Taibah University, Madinah, Kingdom of Saudi Arabia

Email: Ameam5y@gmail.com

Abstract

The study aims to reveal the artistic images formed by distances and their descriptions of: length, width, proximity, distance, capacity, narrowness, etc., mentioned in the places of desire and intimidation that are full of the Holy Quran, through a preface that presents the concept of the image, the concept of distance, the concept of the denominator, which is meant by desire and intimidation, and two researches: the first took care of the study of the images of distances in the place of desire, and the second studied the images of distances in the places of intimidation, The most important of these are the fact that the Qur'an used several patternsin the depiction of distance in the places of alienation and intimidation, such as metaphor, analogy, metaphor, description and systems, the inspiration and semantic shadow of the word, and the cutting, which were similarly received in the studied positions, and did not show the altruism of the use of one or more particular colors in one place without another.

Keywords: Image, distance, desire, intimidation .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى الآل والصحب أجمعين.

حوى القرآن الكريم أوصافًا عديدة تدل على المسافات مثل: الطول والعرض، والقرب والبعد، والسعة والضيق، ونحو ذلك.

ومثّلت هذه الألفاظ المعنى المقصود بطريق التشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية، أو الوصف، أو القص، أو الإيحاء، ووردت في مقامات عدّة، خصّت منها الدراسة مقامات الترغيب والترهيب التي يحفل بها القرآن الكريم، والتي تمثّل أسلوبًا خطابيًا من أساليبه، يتناسب مع الغاية الأساسية منه، وهي الهداية والإرشاد، وتبصير العباد بالمآلات الأخروية والدنيوية، وتربية النفوس بالتخويف تارة، وبالترغيب تارة، وهو ما أشار إليه ابن عاشور بقوله: "عادة هذا الكتاب المجيد مداواة النفوس بمزيج الترغيب والترهيب".(١)

أسباب اختيار الموضوع:

شغل ذكر المسافات حيزًا لافتًا في القرآن الكريم، في قصصه ومشاهده، وأمثاله، ومجازاته، ومحاوراته، وتقريراته، واستدعى ذكر المسافة في تلك المواضع أنواعًا من الصور الذهنيّة والحسيّة المتداعية في خيال المتلقي، اتخذت أنماطًا تصويرية مختلفة.

---

(١) التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ٣٩/٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكثر ورود الصور الفنية المرتكزة على ذكر المسافات في مقامات الترغيب والترهيب التي يزخر بها القرآن الكريم، وكانت هذه الصور متسقة تمام الاتساق مع سياق الترغيب أو الترهيب العام، وحيث أني لم أقف على دراسة اعتنت بدراسة المسافة التي أرى أن لها حضورًا بارزًا في الصورة القرآنية في مقامات الترغيب والترهيب، شجعني ذلك على المضي قدمًا في دراسة الموضوع؛ في محاولة لبيان شيء من إعجاز القرآن الكريم في هذا الباب.

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة التي أشارت إلى دور المسافة في الصورة الدراسة المعنونة بـ: (الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف) للدكتور أحمد ياسوف، الواقعة في ثمانمائة وتسع وسبعين صفحة من القطع المتوسط من نشر دار المكتبي، بدمشق، والتي أفاض فيها الباحث في بيان أنواع الصور الفنية ومهامها، ومثّل لكل نوع منها بطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، وتحدث عن صور المسافات في الفصل الخامس المعنون بـ:(مكونات اللوحة الفنية)، فجعل من هذه المكونات -بالإضافة إلى الصورة اللونية، والصورة الحركية- صور المسافات، وعنى بها الصورة النحتية الجامدة التي تثبت اللحظة، لكنها في الحديث النبوي قابلة للتمدد والتوسع والتدفق مكانيًا، وقام الباحث بتحليل الأحاديث النبوية المصورة للمسافات وبيان جمالية التصوير وغاياته فيها.

ومجال دراسة د. ياسوف يختلف عن مجال دراستنا هذه، إذ كان مجالها الحديث النبوي، في حين أن هذه الدراسة تعنى بالقرآن الكريم، كما

أن طبيعة المسافات في الحديث النبوي امتازت بالتحديد غالبًا، بعكس المسافات المذكورة في القرآن الكريم التي تميزت بالإطلاق- كما استنتجت الدراسة-، فضلاً عن التركيز هنا المسافة الواردة بمقامات الترغيب والترهيب خاصة دون غيرها من المقامات.

أما الدراسات التي درست دلالة المكان (باعتبار ارتباط المكان بالمسافة) في القرآن الكريم، أو في الشعر، أو في القصة، أو في الرواية، فمنها على سبيل المثال بحث بعنوان: (دلالة المكان في صور الجنة والنار)، للدكتور عمار السلامي، منشور في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية بجامعة الكوفة، في عددها التاسع عشر، للسنة العاشرة ٢٠١٦م، درس فيه الباحث طبيعة المكان في صور الجنة والنار، وأبعاده وتفاصيل أجزائه ،قاصدًا بالمكان ذلك الحيز الذي تستثيره اللغة في خيال المتلقي عند الحديث عن الجنة أو النار، ودراستنا تتفق مع البحث في المجال (القرآن الكريم)، وفي كون الحديث عن الجنة والنار مقام من مقامات الترغيب والترهيب، وتختلف عنه في تناولها للمسافة وليس المكان، إذ المسافة بعد من أبعاد المكان وليست مكانًا، كما أن مقامات الترغيب والترهيب لا تنحصر في مواضع الحديث عن الجنة والنار في الذكر الحكيم.

ومن الدراسات السابقة المتعلقة بمقامات الترغيب والترهيب، رسالة دكتوراه بعنوان: (نصوص الترغيب والترهيب في القرآن الكريم من وجهة بلاغية)، ليوسف عبد الله الأنصاري، مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، لعام ١٤١٣هـ، تقع الدراسة في ثلاثمائة وثمان وثمانين صفحة، تناول فيها الباحث نصوص الترغيب والترهيب في القرآن الكريم في ستة فصول، قسّمها تقسيمًا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موضوعيًا: مثل: الفصل الأول: (الترغيب في الإيمان، والترهيب من الكفر)، والفصل الثاني: (الترغيب في الاعتصام، والترهيب من التفرق واتباع السبل)، وهكذا بقية الفصول، مبينًا بلاغة نظم هذه النصوص في تلك المقامات.

وتتفق هذه الرسالة مع دراستنا في تناولها لمقامات الترغيب والترهيب، وتختلف عنها في كون الدراسة هنا تركز على المسافة فقط في هذه المقامات، فضلاً عن تركيزها على التصوير القرآني وليس النظم بعامة.

تساؤلات الدراسة:

- ما أنماط الصور الفنية التي وردت فيها ذكر المسافة في مقامات الترغيب والترهيب؟
- ما مقامات الترغيب والترهيب التي ورد فيها هذه الصور؟
- كيف وُظّفت هذه الصور الفنية في السياق؟

منهج الدراسة:

ستتبع الدراسة – إن شاء الله –المنهج الوصفي، وتستعين بالتحليل الذي يُعدّ من أبرز أدواته، لرصد نماذج للمسافات الواردة في القرآن الكريم، ثم بيان دور المسافة في الصورة الواردة في مقام الترغيب أو الترهيب، بغية الوقوف على إعجاز القرآن الكريم البلاغي في هذا الجانب.

حدود الدراسة:

ركّزت الدراسة على بيان دور المسافات المذكورة في مقامات الترغيب والترهيب في الصورة –كما أُشير آنفًا– دون غيرها من المقامات، واستثنت

ما دلّ على المسافة الزمنية من أوصاف خاصة بالمسافة المحسوسة على سبيل المجاز، أي: نعت الزمن بأوصاف من خصائص المحسوسات، مثل: الطول والعرض، والسعة والضيق، ونحو ذلك؛ لتعلق ذلك بالزمن أكثر من تعلقه بالمسافة، ولمزيد من التركيز والإيجاز.

خطة الدراسة:

قُسّمت الدراسة إلى تمهيد ومبحثين، مسبوقة بمقدمة، ومذيلة بخاتمة، على النحو الآتي:

-مقدمة.

-تمهيد.

وفيه تعريف بمصطلحات الدراسة، على النحو الآتي:

-مفهوم الصورة.

-المقصود بالمسافة.

-مفهوم المقام.

-المقصود بالترغيب والترهيب.

-المبحث الأول: تصوير المسافات في مقامات الترغيب.

-المبحث الثاني: تصوير المسافات في مقامات الترهيب.

-الخاتمة.

-ثبت المصادر والمراجع.

والله ولي التوفيق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تمهيد

مفهوم الصورة:

يُعدّ الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) من أوائل من أشاروا إلى مفهوم التصوير في النقد العربي القديم، وذلك ضمن حديثه عن ثنائية اللفظ والمعنى، تلك القضية التي شغلت النقاد العرب قديمًا، واستحوذت على الكثير من اهتمامهم، وتصدرت غير قليل من مصنفاتهم. يقول الجاحظ: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير".(١)

فالصورة شكل، والفكرة معنى، والتصوير -كما يراه الجاحظ -تأليف بين المعاني والألفاظ وإخراج لها في صورة تجسيمية حسية.(٢) وهو ما يميز شاعرا عن آخر عنده، فالتفاوت بين الشعراء ليس سببه وقوع أحدهم على معنى لم يقع عليه غيره، إذ المعاني -كما قال-مطروحة في الطريق، وإنما في كيفية التأليف بين المعاني والألفاظ، وبين معنى ومعنى.

على أن الناس -عند التدقيق-لا يتساوون في إدراك المعاني واستيعابها وإن كانت مطروحة في الطريق-كما أشار الجاحظ- فمنهم من

---

(١) الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ)، ٦٧/٣.

(٢) ينظر: قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن٧هـ/١٣م، أحمد الودرني، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) ٨٠٩/٢-٨١١.

يبرع في التقاط المعاني وتصويرها واستنباط الأفكار منها، باذّا من خلفه، ومنهم من يقف عند المعنى الأول الظاهر ولا يتجاوزه، والقدرة على استشفاف المعاني هي من البلاغة بسبيل، وخاصة بلاغة القرآن الكريم التي لا تكمن في نظمه وأساليبه فحسب، بل تتعلق بمعانيه ومضامينه ومقاصده كذلك.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) فكان أكثر تحديدًا عند حديثه عن الصورة، حيث تناولها من خلال حديثه عن نظرية النظم التي بذل جهده في إنضاجها وإتمام بنيانها، واقفًا موقفًا وسطًا بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، ومؤكدًا على أثر التصوير في البيان، وفي الخروج بالمعنى من حد الابتذال والألفة إلى الطرافة والإبداع، ومؤكدًا أن سبيل الإبداع هو الاعتناء بفن الصياغة، يقول في ذلك: "وأعلم أن قولنا: (الصورة)، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تَبَيُّنُ إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تَبَيُّنُ خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقًا، عبّرنا عن ذلك الفرق، وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء، ويكفيك قول (الجاحظ): "وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير"[(١)]، فالصورة -كما

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط٣، د.ت)، ص٥٠٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يشرحها الجرجاني- هي طريقة إخراج المتكلم للمعنى، ويتحصل ذلك بالتمثيل الذي هو نوع من القياس، قياس المعقول على المحسوس، وخصّ عبد القاهر من المحسوس المحسوسات البصرية، غير أن عبد القاهر لا يقصر الصورة على التمثيل والقياس، -كما يذكر د. محمد شادي في شرحه لعبارة الجرجاني هذه -فصورة المعنى التي يقصدها أوسع من مجرد التمثيل والتشخيص، لأنها تعني النظم والأسلوب(١)، وهذا النظم هو ما يتفاوت فيه البلغاء، وقد جاء في أكمل صوره في القرآن الكريم.

فارتباط الصورة الفنية بالجانب الحسيّ الذي تقدمه الرؤية البصرية - كما عند الجاحظ والجرجاني -هو أبسط دلالات الصورة، وأقربها إلى الذهن.

أما الصورة في العصر الحديث فاتخذت مفاهيم ودلالات متنوعة، نظرًا لتعدد المذاهب الأدبية والنقدية التي درستها، ولتداول المصطلح في أكثر من مجال من مجالات المعرفة الإنسانيّة، مما جعلها أكثر اتساعًا وتنوعًا.(٢)

---

(١) ينظر: شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، (مصر- المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٤٣هـ، ٢٠١٣م)، ص٥٧٥.

(٢) ينظر: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط الأولى، ١٩٨٢م)، ص٤١، والصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى صالح، (بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب: المركز الثقافي العربي، ط الأولى، ١٩٩٤م)، ص٧-٨، والصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، علي البطل، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨١م)، ص٢٧-٢٨.

* ذكر اليافي خمس دلالات من دلالات مصطلح الصورة، وهي: الدلالة اللغوية، والدلالة الذهنية، والدلالة النفسية، والدلالة الرمزية، والدلالة البلاغية أو الفنية. ينظر: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط الأولى، ١٩٨٢م)، ص٤١-٤٦.

فعبد القادر الربّاعي مثلاً يعرفها بأنها "هيئة تثيرها الكلمات الشعريّة بالذهن، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبّرة وموحية في آن"(١)، في إشارة إلى الصورة البصريّة التي تتشكّل في ذهن المتلقي، التي تعبر عنها تلك الكلمات الشعرية، والموحية بما هو فوق دلالة الصورة المباشرة.

والصورة عند عبد القادر القط هي: "الشكل الفنيّ الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعدما ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاص، ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدمًا طاقات اللغة، وإمكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة، والمجاز والترادف، والتضاد والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفنيّ. والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفنيّ، أو يرسم بها صورة شعرية".(٢)

فالصورة حديثًا تتعدى الشكل البيانيّ الذي عُرفت به في النقد العربي القديم، لتتخذ أشكالاً أخرى كثيرة، ولتستمد إيحاءها من مكوّنات اللغة وعناصرها كلها (دلالة، وصوتًا، ونظمًا، ...).

ويعرفها علي البطل بأنها: "تشكيل لغويّ، يكوّنها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها"(٣) ، فالصورة عنده تعيد

(١) الصورة الفنية في النقد الشعري-دراسة في النظرية والتطبيق، عبد القادر الرباعي، الأردن: دار جرير، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٨٥.

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م)، ص٣٩١.

(٣) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري-دراسة في أصولها وتطورها، ص٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تشكيل المعنى الذهنيّ، أو المشهد المنظور، أو الأحاسيس والمشاعر بواسطة الخيال، الذي يربط بين العناصر المتباعدة (زمانًا، أو مكانًا، أو واقعًا)، أو المتضادة أحيانا، ويؤلّف بينها من منظور إبداعيّ جديد، ومادة هذه الصورة الرئيسة هي الكلمات، ومصدرها الأهم العالم المحسوس.

ويرى إحسان عباس أن الصورة: "تعبير عن نفسية الشاعر، وأنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام"،(١) في إشارة إلى تحرر الصورة في مفهومها الحديث من القيود العقلية، والحدود المنطقية، فليس من شروطها وجود جامع منطقيّ بين أجزاء الصورة، إذ يمكن أن يكون الرابط خياليًا بحتًا لا تفسير له في الواقع، أو ينجم عن عواطف الشاعر وأحاسيسه المضطربة، أو عن خلفيته الاجتماعية، أو غير ذلك مما يتعذر تفسيره تفسيرًا منطقيًا.

والصورة عند فسلر: "حلم الشاعر"(٢)، والحلم كما سلف "لا يعترف بالتنسيق المنطقيّ للزمان، ولا يعترف – نتيجة لذلك- بالسببية."(٣)

وهي عند سيسل لويس في "أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات"(٤)، وكأنه ينطلق في تعريفه هذا من مبدأ المحاكاة بين الصورة والواقع الذي تعبر عنه، مع اتصاف هذه المحاكاة بالإبداع الذي يماثل إبداع الرسام، وهذا التعريف يلاحظ فيه تغليب الطابع الحسيّ على الصورة. ثم يسترسل قائلا:

---

(١) فن الشعر، إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط٣، د.ت)، ص٢٣٨.

(٢) ينظر: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط٣، د.ت)، ص١٣٨.

(٣) الشعر العربي المعاصر، ص١٣٨.

(٤) الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرون، (العراق: دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨٢م)، ص٢١.

" إن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة، أو أن الصورة يمكن أن تُقدم إلينا في عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض، ولكنها توصل إلى خيالنا شيئا أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية".(١)

وهذه العبارة توسّع مفهوم الصورة الضيق الذي ارتبط بالاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز عند بعض نقادنا القدماء، وتضيف إلى قائمة الصور كل ما حرّك الخيال، حتى لو كان وصفًا بألفاظ الحقيقة، وهو المفهوم الذي يرجحه البحث، وعليه يمكن أن نلخّص مفاهيم الصورة السابقة بالقول بأن الصورة: كل ما جسّم المعاني الذهنيّة، أو الأحاسيس، أو المحسوسات، أو شخصّها وحرّك الخيال، بواسطة المجاز، أو القصّ، أو الإيحاء، أو الحوار، أو الوصف المحض، أو نظم الألفاظ والتراكيب، أو غير ذلك.

وينطبق التعريف نفسه على الصورة الفنية المرتكزة على ذكر المسافة، التي مِثْلها مِثْل جميع صور القرآن "تمضي بالمتلقي من المحسوس إلى المجرد، ومن المحدود إلى المطلق، ومن الجزئي إلى الكلي"(٢)، بطريق المجاز أو بغيره. وتكون مستمدة من العالم المشهود، أو الغيبيّ، أو المشاعر والأحاسيس، وظيفتها تحديد علاقة المخلوق بخالقه، وتقديم المعرفة الحقة له، وعرض الوقائع بأسلوب فنيّ مؤثر، وبناء الإنسان فكرًا، وشعورًا، وسلوكًا وفق رؤية إسلامية واضحة للكون والكائنات.(٣)

---

(١) الصورة الشعرية، سيسل دي، ص٢١.

(٢) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام الراغب، (حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط الأولى، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م)، ص ٥٦.

(٣) ينظر: السابق، ص ٤٣-٤٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المقصود بالمسافة:

جاء في تهذيب اللغة: " ساف الشيء يسوفه سوفًا: إذا شمّه...وقال الليث المسافة: بُعْد المفازة والطريق. وقال غيره: سُمّي مسافة (أي البعد) لأن الدليل يستدلّ على الطريق في الفلاة البعيدة الطرفين بسوفه تربتها[١]؛ ليعلم أعلى قصد هو أم على جور.[٢]

وفي المعجم الوسيط: المسافة: البُعد، واشتهر استعمالها بمعنى المساحة والمقدار. وقد تستعمل في الزمان فيقال: مسافة يوم أو شهر، والمراد بعد أرض يقتضي سفر يوم، أو شهر.[٣]

وعليه يمكن لنا القول بأن: المسافة تعني القدر بين جهتين أو نقطتين، عرضًا أو طولاً، بعدًا أو قربًا، اتساعًا أو ضيقًا، أو نحو ذلك.

ويدعم هذا التعريف- برأي الدراسة- ما عُرّفت به ألفاظ أخرى ذات علاقة بالمسافة في اللغة، مثل: الشُّقَّة، والخُطْوة، والرَّبَعَة، إذ نجد أن الشُّقَّةُ: عُرّفت بأنها المسافة البعيدة[٤]. والخطوة: عُرّفت بأنها المسافة بين القدمين في المشي[٥]. والرَّبَعَة: عُرّفت بأنها المسافة بين أثافي القدر التي

(١) تهذيب اللغة، محمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ٢٠٠١م)، ٦٣/١٣، مادة (سَوَف).
(٢) لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، ١٦٥/٩، مادة (سَوَف).
(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (دار الدعوة)، ص ٤٦٤، مادة (سَوَف).
(٤) ينظر: جمهرة اللغة، ١٧٦/٢، وتهذيب اللغة ٢٠٥/٨، ولسان العرب١٨٤/١٠، مادة (شَقق).
(٥) ينظر: جمهرة اللغة ٦١١/١، وتهذيب اللغة ٢٠٦/٧، ولسان العرب ٢٣١/٤، مادة (خَطَو).

يجتمع فيها الجمر [١]، فدلّ ذلك على أن المسافة تعني القدر بين جهتين أو نقطتين.

مفهوم المقام:

تأسس الدرس البلاغي العربي على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، واهتم كثيرا بكيفية إنتاج خطاب مؤثّر يراعي اختلاف المقامات، حتى إن تعريف القزويني للبلاغة- وهو من أكثر تعريفاتها تداولا وشهرة- جعل مراعاة المقام أُسّ البلاغة، فقال: "وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[٢].

وعُرّفت مقامات الكلام بأنها: "الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام"[٣]، وإن اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال، لأن اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات[٤]، إذ الاعتبار اللائق

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٣١٨/١، ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م)، ٤٨١/٢، ولسان العرب ١٠٧/٨، مادة (ربع).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، (صيدا- بيروت: المكتبة العصرية، ط الأولى، ٢٠٠١) ، ص ١٦.

(٣) حاشية الدسوقي على السعد ضمن شروح التلخيص، ١٢٥/١.

(٤) ينظر: حاشية الدسوقي على السعد ضمن شروح التلخيص، ١٢٥/١. وتعريف المقام عند المتقدمين من أهل البلاغة يرادف ما يسمى بالسياق الخارجي عند المحدثين، أي: ما يستفاد من العناصر غير اللغوية المصاحبة للنص. (ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي، (القاهرة: دار المنار، ط الأولى، ١٤١١هـ=١٩٩١م)، ص٣٠، والسياق وتوجيه دلالة النص، د.عيد بلبع، (بلنسية للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م)، ص١٩، ويعرف تمام حسان المقام بأنه: مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابا وسلبا، ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان. (ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (القاهرة، عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م)، ص٣٥١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال.[١]

والمقصود بالحال[٢] : أمر يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة تناسبه[٣]، وأما مقتضى الحال فهو: الكلام الكلي المكيف بكيفية مخصوصة[٤]، فإذا كان المخاطب منكرًا للحكم مثلا، فإن هذه حال تقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد هو مقتضى هذه الحال، وإذا كان بالكلام نوع خفاء، فإن هذه حال تقتضي الإيضاح والتبيين، والتبيين هو مقتضى هذه الحال، وهكذا[٥].

---

(١) ينظر: مختصر المعاني للسعد ضمن شروح التلخيص، ١/١٢٥.

(٢) يرى التفتازاني أن الحال والمقام متقاربان في المفهوم، والتغاير بينهما بالاعتبار، فإن الأمر الداعي مقام، باعتبار توهم كونه محلا لورود الكلام فيه على خصوصية ما، وحال باعتبار توهم كونه زمانا له. (ينظر: مختصر المعاني للسعد ضمن شروح التلخيص١/١٢٥)، ومن البلاغيين من يرى أن المقام والحال مترادفان، وما وضعه البلاغيون من فروق بينهما هي فروق غير جوهرية. (ينظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ١/١٢٦)، ويرى آخرون أن المقام محدود، أما الحال فهي رحبة متغيرة تشتمل على المقامات اشتمالا، فالمقام عام والحال خاصة، وكل مقام ينطوي على حالات كثيرة. (ينظر: السياق وتوجيه دلالة النص /١٨٩).

(٣) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط١) ص٥١، وشروح التلخيص ١/١٣١، وعُرّف الحال أيضا بأنه: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص. (كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: أحمد حسن بسج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى،١٤١٨هـ= ١٩٩٨م)، ١/٤٩٨.

(٤) ينظر: شروح التلخيص، ١/١٢٣-١٢٤.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، ٢٠٠م)، ص٢٥٦.

فمقتضيات الحال التي تحدث عنها البلاغيون تشمل -بناء على ذلك- جملة من الاعتبارات، والعناصر النفسية، والاجتماعية، والثقافية التي تشكل في مجموعها ظروف العملية التخاطبية، والموقف التواصلي. ومطابقة هذه الحال تكون بمراعاة المخاطَب (المتلقي) من جهة، ومراعاة مواطن القول من جهة ثانية [(١)].

ولذا ركز البلاغيون على تفاوت مقامات الكلام، وأكدوا أنها ليست على حال واحدة، "فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع الحالات يباين مقام الهزل، كذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام"[(٢)].

والكلام في رأي البلاغيين لا يكون بليغًا حتى يطابق تلك المقتضيات، ويكون ذلك بتحري ما يناسب كل مقام من فنون القول تقديمًا أو تأخيرًا، وتعريفًا أو تنكيرًا، وحذفاً أو ذكرًا، وفصلاً أو وصلاً، وإيجازًا أو إطنابًا...إلخ، على حسب أغراض الكلام، لتحصل المطابقة المطلوبة التي عرّف بها بعض البلاغيين الكلام، كما في تعريف القزويني الآنف الذكر

(١) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (القاهرة، دار الآفاق العربية ، ط الأولى ، ٢٠٠٦م)، ص ٢٦.
(٢) الإيضاح، ص٢٥٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

للبلاغة، وبهذه المطابقة يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول، أو ينحط بعدم مطابقته للاعتبار المناسب(١).

المراد بالترغيب والترهيب:

الترغيب في اللغة من الفعل رَغِب، ومن معانيه اللغوية المتصلة بهذه الدراسة إرادة الشيء، وطلبه والحرص عليه.(٢)

والترغيب في الاصطلاح: "وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة، أو متعة آجلة، مؤكّدة، خيّرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذّة ضارة أو عمل سيء؛ ابتغاء مرضات الله، وذلك رحمة من الله لعباده".(٣)

أما الترهيب في اللغة:

فهو من الفعل رَهِب، ومعنى رهب: خاف(٤)، ورهب الشيء خافه(٥)، والرهبة والرَّهَب: مخافة مع تحرز واضطراب.(٦)

---

(١) ينظر: السابق، ص١٧.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، ٣٢٠/١، وتهذيب اللغة ١٢٢/٨، مادة (رغب).

(٣) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، (دار الفكر، ط ٢٥، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م)، ص ٢٣٠.

(٤) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت- صيدا: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠ه،١٩٩٩م) ص ١٣٠، مادة (رهب).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة ١٥٥/٩، مادة (رهب).

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: الدار الشامية، بيروت: دار القلم، ط الأولى،١٤١٢ هـ) ص ٣٦٦.

والترهيب في الاصطلاح: "وعيد، وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي".(١)

وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية الدعوية التي سلكها القرآن الكريم، فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة- كما سلف-، لمعرفة الخالق بطبيعة النفوس البشرية التي ما تنفك ترغب في كل محبوب، وتنفر من المكاره والصعاب والعقاب، والتي يمكن تحفيزها من خلال الوعد والوعيد للعمل، أو الترك والكف.

وهو أسلوب يخاطب العقل والوجدان في آن واحد، إذ يقدّم الدليل والحجة والبرهان على صواب هذا أو خطأ ذاك، بالنظر إلى العاقبة المنتظرة والمآل المرتقب، والحقائق الثابتة، ويؤثر في العواطف والأحاسيس، فيهزها شوقًا للثواب، أو خوفًا من العقاب.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، ص ٢٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

تصوير المسافات في مقام الترغيب

مقام الترغيب مقام بارز في القرآن الكريم، وأسلوب من أساليب البلاغة العربية، ينسجم مع الغاية من نزول القرآن الكريم التي هي التشريع والهداية، وبيان المآلات الأخروية، والعواقب الدنيوية.

ونجد أن ذكر المسافات كان حاضرًا في هذا المقام، كما في قوله تعالى في مقام الترغيب بالجنة ونعيمها: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فبعد أن نهى جل شأنه عن أكل الربا بما يمثله من تكالب على الدنيا، في إشارة إلى الانصراف لجمع الغنائم الذي كان سببا في هزيمة المسلمين يوم أحد، وبعدما أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله، وحذر من النار ونفر ورهب[١]، في قوله سبحانه في المقطع السابق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠ -١٣٢]. أمر في هذه الآية الكريمة بالمسارعة إلى المغفرة والجنة، وهو ما يكون بالحرص على عمل الطاعات والأعمال الصالحة التي هي سبب المغفرة، والطريق لبلوغ الجنة. [٢]

---

(١) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري)، محمد بن جرير أبوجعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ٢٠٤/٧-٢٠٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور، ٨٨/٤.

ووصف الله تعالى الجنة في هذا الموضع بما يرغب فيها أشد الترغيب، وهو وصفها بالسعة التي هي من طبيعة الجنان الطيبة الجليلة، وجاء هذا الوصف عن طريق التشبيه، فشبّه عرضها بعرض السماوات والأرض، وليس الغرض من التشبيه هنا حد هذا الاتساع بحدود معينة[١]، وإنما إطلاق العنان للمخيلة البصرية لترسم أبعادا غير متناهية لمسافة الجنة، إذ إن المشبه به (عرض السماوات السبع، والأرضين السبع) مما استقر في أذهان الناس ثبوت صفة الاتساع والامتداد له لحد لا يعلم مداه إلا الله سبحانه.

فمرتكز الصورة الممثل بها في الآية الكريمة هو ذكر مسافة ما يراه المخاطَب، ويقع في حسه عظم سعته التي لا يرتقي علمه إلى معرفتها؛ للتنبيه على سعة الجنة. ووُصفت المسافة هنا بالعرض ولم يُذكر طولها، ذلك أن العرض "يدلّ متى ما ذُكر على الطول، والطول إذا ذُكر لا يدلّ على قدر العرض، بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه".[٢]

غير أن المقصود ليس الإشارة إلى عِظَم سعتها فقط، وإنما الغرض الأهم هو التدليل على عَظَمتها، وعظمة ما فيها من نعيم، وعظمة خالقها سبحانه، فيكون ذلك أدعى إلى زيادة توقير الخالق سبحانه في القلب، ومن ثم أدعى للاستجابة لأمره ونهيه.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، فخر الدين الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ) ٣٦٦/٩، وتفسير ابن عاشور، ٨٩/٤.

(٢) الجواهر الحسان (تفسير الثعالبي)، أبو زيد الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ) ، ١٠٨/٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد "خص سبحانه العرض بالذكر ليكون أبلغ في الدلالة على عظمها، واتساع طولها؛ لأنه إذا كان عرضها كهذا فإن العقل يذهب كل مذهب في تصور طولها...قال القفال: ليس المراد بالعرض ها هنا ما هو خلاف الطول، بل هو عبارة عن السعة ...". (١)

وحتى تحصل المبالغة ويتأكّد الاتساع، جاء الوصف على طريقة التشبيه البليغ، المفيد للمبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه، فعرض الجنة هو عينه عرض السماوات والأرض أو يكاد، وهذه المبالغة تولدت من غياب أداة التشبيه ووجه الشبه، وهو ما من شأنه إتاحة الفرصةللذهن للتطلع إلى جميع وجوه الالتقاء الممكنة بين طرفي التشبيه (المشبه، والمشبه به) فإذا هما واحد، أو كالواحد في التصور. (٢)

---

(١) التفسير الوسيط (تفسير الطنطاوي)، محمد سيد طنطاوي، (الفجالة–القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، د.ت)، ٢٢٢/١٤. اختلف العلماء في معنى قوله تعالى :﴿عرضها السماوات والأرض﴾ على ثلاثة مذاهب: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تقرن السماوات والأرضون بعضها إلى بعض كما يبسط الثوب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه ,وسلم: "إن بين المصراعين من أبواب الجنة مسيرة أربعين سنة، وسيأتي عليها يوم يزدحم الناس فيها كما تزدحم الإبل إذا وردت خمصا ظماء"، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها"، "فهذا كله يقويّ قول ابن عباس، وهو قول الجمهور: إن الجنة أكبر من هذه المخلوقات المذكورة، وهي ممتدة عن السماء حيث شاء الله تعالى، وذلك لا ينكر، فإن في حديث النبي عليه السلام: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة في فلاة من الأرض" . المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية)، أبو محمد ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى،١٤٢٢)، ٥٠٨/١.

(٢) ينظر: دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، (الدار البيضاء – بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١ ،١٩٩٢م)، ص ٢٣–٢٤.

والجنة التي أبرز اتساعها بذكر عرضها من خلال هذه الصورة البيانية، أمر الله عباده المتقين في صدر الآية بالمسارعة إليها (وسارعوا)، والمسارعة تقتضي المفاعلة والاشتراك، وكأن المتقين في سباق مع الزمن، ومع ذواتهم، ومع شواغل الدنيا وملهياتها، ومع جواذب الشر وأهله، ومع غيرهم من السائرين معهم في ذات الطريق، يسعون للتصدر، والانعتاق من عوالق الدنيا؛ لنيل الجائزة المعنوية التي هي(مغفرة) كثيرة، وستر وتجاوز عن الذنوب والخطايا، فإذا حصل لهم ذلك نالوا الجائزة المادية الكبرى (جنة عرضها السماوات والأرض).

ويحتمل أن وصف الجنة بالعرض المذكور وارد على جهة الاستعارة -كما ذكر ابن عطية- فيكون المقصود وصفها ببلوغ الغاية القصوى من الاتساع والانفساح، لا تحديد العرض بمقدار، كما يقول العرب مثلا: هذا بحر للرجل الكريم، وذاك جبل للحيوان الضخم.[١]

ويحتمل أن الوصف بالعرض وارد على جهة الإخبار، لا التشبيه ولا الاستعارة، فيكون تقدير مسافة العرض الهائلة لها من قبيل التقدير الحقيقي لعرضها، غير أن هذا العرض الذي هو عرض السماوات الأرض لا طاقة للإنسان بمعرفته، مما يجعل النفس تذهب في تقديره كل مذهب.

والوصف بالعرض المذكور في الآية الكريمة أثار المخيلة البصرية الشمية لدى المتلقي، فرسم صورة الامتداد غير المتناهي لتلك الجنان، الموشّاة بألوان مبهجة، مع عبير فواح ينبعث منها، فجاء محفزًا وحاضًّا

(١) ينظر: تفسير ابن عطية،١/٥٠٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

للمتقين على تحمل مشقة الطريق، وعنت السير، حتى يحصل لهم المراد برحمة الله تعالى لهم.

ولمزيد من الترغيب في الجنة التي أُكّد اتساعها، أعقب الذكر الحكيم وصفها بذكر صفات أهلها، لأن وصف خلق الجار مما يرغب في الدار(١)، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٤ – ١٣٥].

وكما ذكر الله تعالى عرض الجنة في آل عمران، ذكر عرضها في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، واصفًا الجنة بالعرض، للدلالة على الاتساع الشديد من خلال تشبيه عرض الجنة بعرض السماء والأرض مرة أخرى، فالغرض من التشبيه – كما قال الزجاج–تمثيل عرض الجنة للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السماوات والأرض التي هي أوسع ما علمه الناس من مخلوقات الله(٢)، غير أن التشبيه جاء هذه المرة دون حذف الأداة، ليتبين أن عرض الجنة الموعود بها (من آمن بالله واليوم الآخر) ليس عرض السماوات والأرض عينه، أي ليس عرض الجنة التي وعد بها المتقون في آل عمران ، ولكن يشبهه.

---

(١) ينظر: تفسير ابن عاشور، ٤/٩٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي،(بيروت: عالم الكتب، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨ م)، ٥/١٢٨.

فكاف التشبيه في آية الحديد تفصل بين طرفي التشبيه وتميّز بينهما، إذ إن حضور الأداة " يبقي على البعد أو الفضاء الفاصل بين الطرفين".[١] بعكس غيابها السابق في آية آل عمران – وفقًا لرأي من رأى أن الكلام مسوق في آل عمران مساق التشبيه البليغ أو الاستعارة–، وهو ما ترجحه الدراسة.

وهذا الاختلاف بين الموضعين مرده –كما قال المفسرون[٢]–إلى اختلاف الأمر الذي صُدّرت به كل من الآيتين الكريمتين من جهة، وإلى اختلاف الموعودِين بالجنة في الآيتين، فالأمر في سورة الحديد أمر بالمسابقة وليس بالمسارعة التي صدرت بها آية آل عمران –كما سبق بيانه–، والمسارعة والمسابقة كلاهما تقتضيان المنافسة والسعي بجد لغلبة المنافس، غير أن المسابقة قد يحصل فيها الإبطاء في حال كان أحد المتنافسين بطيئًا فيبطئ الآخرون كذلك، أما المسارعة فلا تكون إلا ببذل غاية الجهد من الجانبين.[٣]

والجنة في آل عمران عرضها السماوات والأرض، وعرضها كعرض السماء والأرض في الحديد، وأُفردت السماء في الحديد وجُمعت في آل عمران، ونُكّرت المغفرة والجنة في كلا الموضعين للتعظيم والتفخيم، وغاب

(١) دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، ص٢٣.
(٢) ينظر: بيان ذلك وتفصيله في نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط الأولى، ١٩٨٤م)، ٢٩٢/١٩-٢٩٣، و روح المعاني (تفسير الآلوسي)، شهاب الدين الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ)، ١٨٦/١٤.
(٣) ينظر: نظم الدرر، ٢٩٢/١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجه الشبه في الموضعين (آية آل عمران، وآية الحديد)؛ تعويلاً على كفاءة المتلقي في إدراك أوجه التلاقي بين طرفي التشبيه.

وعليه نجد أن اختلاف السياق العام لكل من الآيتين الكريمتين أدى إلى اختلاف الصياغة، فآية آل عمران كانت في سياق الحث على التجرد عن المال وأصل الحظوظ- كما تبيّن-، أما آية الحديد فوردت في سياق التصدق الذي هو تجرد عن فضول الأموال لا أصولها [(١)]، فبعد أن أثنى سبحانه على المصدقين والمصدقات، وبيّن سرعة زوال متاع الدنيا في قوله سبحانه:﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ١٨ – ٢٠]، أمرَ بالمسابقة إلى المغفرة، وما يوجبها من الأعمال الصالحة، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض،[(٢)] وهو ما يظهر أنه وإن تشابه المضمون في الآيتين إلا أن اختلاف السياق أوجب اختلاف الصياغة، واختلاف المعنى الدقيق.

ومثّلت المسافة الموصوفة بالعرض عنصرًا فاعلاً متفاعلاً ومنسجمًا مع عناصر المشهد الأخرى في كلا الموضعين، واستدعت مشهدًا حسيًّا مألوفًا في عالم الواقع المعاش، وهو مشهد السباق، والداعي إليه،

(١) ينظر: نظم الدرر ، ٢٩٢/١٩

(٢) ينظر: تفسير الطبري،٢٣/١٩٠-١٩٣، وتفسير أبي السعود،٨/٢٠٩-٢١١.

والمتسابقين، والجوائز، وذلك كعادة القرآن في التعبير عن المعاني الغيبية بما يفهمه الناس من لغتهم، وواقع معاشهم.

ومن استعمال المسافة في الصور الفنية في مقام الترغيب في الجنة كذلك وصف ثمارها بالقرب في بعض مواضع القرآن الكريم، في معرض الحديث عن أشكال النعيم المعدّ لأهل الجنة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٠ – ٢٣].

فالآيات الكريمات تسرد مشهدًا من مشاهد الغيب يفيض بالجمال والجلال والفرح والبشرى، مشهد المؤمن وهو يطوف بفخر وسرور بين أهل المحشر متباهيًا بصحيفة أعماله، ومشهد الإعلان الإلهي عن النعيم الذي أُعدّ له، (فهو في عيشة راضية، في جنة عالية قطوفها دانية)، وجاء التعبير في الجمل الثلاثة المتعاطفة بالصيغة الإسمية لإفادة الثبوت والدوام، فهو نعيم ثابت لا يحول ولا يزول.

ومن أوصاف هذه الجنة تصويرها بما يطلع المتلقي على شيء متعلق بقياساتها، فهي جنة عالية، "والعلو: الارتفاع وهو من محاسن الجنات؛ لأن صاحبها يشرف على جهات من متسع النظر؛ ولأنه يبدو له كثير من محاسن جنته حين ينظر إليها من أعلاها أو وسطها مما لا يلوح لنظره لو كانت جنته في أرض منبسطة، وذلك من زيادة البهجة والمسرة؛ لأن جمال المناظر من مسرات النفس ومن النعم... والقطوف: جمع قِطْف (بكسر القاف وسكون الطاء)، وهو الثمر... ومعنى دنوها: قربها من أيدي المتناولين؛ لأن ذلك أهنأ؛ إذ لا كلفة فيه"[(١)].

(١) تفسير ابن عاشور، (١٣٣/٢٩).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إنها صور لتفاصيل دقيقة من مكملات نعيم أهل الجنة – جعلنا الله منهم–تحمل معاني التشريف والتكريم. والمسافة –كما نرى– كانت حاضرة في هذا المشهد المترف، في الاتجاه إلى الأعلى حيث المسافة غير المحدودة الفاصلة بين درجات الجنة ومنازلها التي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم طولها بقوله: "في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مائة عام"(١)، وقوله: "في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس".(٢) وكذلك كانت المسافة حاضرة عند وصف المسافة الفاصلة بين الثمار وأيدي أهل الجنة المنعمين بالقرب والدنو.

وجاء التصوير في الموضعين من خلال اللغة الوصفية المباشرة، التي أثارت الخيال بتعدد إيحاءاتها، وبما استدعته من تصورات حسية، وهو ما دعا د. محمد غنيمي هلال إلى القول بأن المتلقي "قد يصل إلى الصورة عن غير طريق المجاز"(٣)، و "أن الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب"(٤)، وهي المسألة ذاتها التي أشارت

(١) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م)، ٦٧٤/٤

(٢) رواه الترمذي، ٦٧٥/٤.

(٣) الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، (القاهرة: دار المعارف)، ص ٢٧.

(٤) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م)، ص ٤٣٢.

إليها بشرى صالح بقولها: إن "الحقيقة تشاطر المجاز أثره في التعبير الفني والتصوير، وأن القدرة على الإيحاء لا يختص بها المجاز وحده، ولذا عُـدّت الصورة المجازية نمطًا من أنماط الصورة لا نمطها الوحيد"(١)، وأشار إليـه سيسل لويس كما رأينا عند الحديث عن مفهوم الصورة، فالصورة الوصفية في هذا الموضع أبرزت المشاهد، وقابلت بين ارتفاع الجنة في تلك المسافة الصاعدة علوًا، وقرب الثمار في تلك المسافة النازلة دنوًا. فنجم عـن ذلـك صورة بصرية قربت للمتلقي مشهدًا غيبيًا، في مظهر مألوف مـن مظـاهر التنعم الدنيوي، غير أنه لا يماثله إلا في اسمه.

وتكرر وصف ظلال الجنة وثمارها بالدنو في أكثر من موضع بالقرآن الكريم، فقال تعالى في وصف أهل الجنة حال تنعمهم بنعيمها: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٣ – ١٤].

وورد تصوير الجنة كذلك بما يدلّ على القرب في مقام الترغيـب فـي قوله تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]، وقوله: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾(٢) [التكوير: ١٣].

---

(١) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث /٩٧.

(٢) كما اُستعمل الوصف بالإزلاف في مقام الترغيب، استعمل كذلك في مقام الترهيب في قولـه تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ ﴾ الشعراء/٦٠-٦٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قال الإمام البقاعي في تفسير آية ق: "وأزلفت: أي قُرّبت، بأيسر أمر مع الدرجات والحياض الممتلئة، (الجنة للمتقين) أي العريقين في هذا الوصف، فإذا رأوها تسابقوا، وتركوا ما كانوا فيه من الموقف من منابر النور، وكثبان المسك، ونحو ذلك...ولما كان القرب أمرًا نسبيًا أكّده بقوله: (غير بعيد) أي: إزلافًا لا يصحّ وصفة بالبعد".(١)

الآيات الكريمات -كما ترى الدراسة- فيها تصوير لمدى إكرام الله لعباده المتقين، بتقريب الجنة لهم، أو تقريبهم لها، وإلغاء المسافة بين المتقين ومساكنهم في الجنة، وهو تقريب لمزيد الاحتفاء والترحيب والتكريم، "كرامة لهم عن كلفة المسير إليها"(٢).

فالآيات الكريمات تصف لنا أيضا مشهدًا من مشاهد الغيب، وتخرجه في صورة بصرية حركية؛ حتى يعيش المتلقي دقائق الحدث الأخروي الذي عبّر عنه القرآن بالفعل الماضي، المبني لما لم يُسمّ فاعله (أُزْلِفت) في المواضع الثلاثة؛ للقطع بوقوعه، ولتكون بؤرة المشهد عنصرَين اثنين فقط: (الجنة، وأهل الجنة)، ويغيب ما سواهما من مكونات. وبذلك يقوى جانب الشوق للجنة ونعيمها عند المسلم، فيستسهل كدر الدنيا ومصائبها وهمومها، ويسترخص في سبيل الآخرة متاع الدنيا كله.

ومن التعبير بالمسافة الموصوفة بالقرب كذلك في مقام الترغيب بإكرام الضيف، والتأدب بآداب الضيافة نجد قوله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع ضيفه من الملائكة الكرام: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤

(١) نظم الدرر، (١٨/٤٣١-٤٣٢).
(٢) تفسير ابن عاشور، (٢٦/٣١٩).

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ [الذاريات: ٢٤ – ٢٨].

في هذه الآيات كما قال ابن كثير: " انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتنّ عليهم، ولا قال: نأتيكم بطعام؟ بل جاء بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتيّ سمين مشويّ، فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشقّ على سامعه بصيغة الجزم، بل قال :﴿ألا تأكلون﴾ على سبيل العرض والتلطف".[(١)]

فهذا المشهد لمجلس نبي الله إبراهيم- عليه السلام- مع ضيفه المكرمين من الملائكة يعرضه لنا القرآن الكريم حيًّا مشاهدًا، صوتًا وصورة، مشهد الملائكة الكرام وقد دخلوا على نبينا إبراهيم مسلِّمين، ومشهد روغان إبراهيم –عليه السلام- وأمره أهل بيته بتجهيز أفخر الموجود من الطعام، ثم تقديمه الطعام لضيوفه بنفسه، وتقريب الطعام لهم وعدم الإشارة إليهم ليقتربوا هم من الطعام، وتلطفه في دعوتهم إلى الأكل.

والمسافة الموصوفة بالقرب في المشهد جاءت متممة لجلاله، وعنصرًا فاعلاً في الصورة القصصية، أفادت المبالغة في الإكرام والتوقير، وجاءت مناسبة لمقام الإكرام والحفاوة المرَغَّب في التأسي به، في قصة شائقة، متلاحقة الأحداث، وُصلت جملها بـ (الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب؛ لإفادة التعاقب السريع للأحداث، الذي يدلّ على جملة أمور منها أن هذا الإكرام لم يقتض من سيدنا إبراهيم عليه السلام طول نظر ولا تأمل،

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى ،١٤١٩هـ)، ٧/ ٣٩٢-٣٩٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بل جاء منه طبعا وسجية، دون انتظار لمعرفة هوية هؤلاء الضيوف ولا مرادهم. وأُبرز ذلك من خلال الروغان الخفي، وإعداد أفخر الطعام الموجود، وتقريبه لهم.

ومما ورد أيضا في مقام الترغيب بالجنة، وذُكرت فيه المسافة الموصوفة بالبعد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢]. وسبب نزول الآية ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس– رضي الله عنه– قال: "جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]؟فقال ابن الزبعرى: قد عبدت الشمس، والقمر، والملائكة، وعزير، وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧ – ٥٨]. ثم نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]" (١)

فبعد أن بيّن تعالى في سورة الأنبياء أن إله الخلق والكون واحد لا شريك له، وذكر نبذًا من قصص الأنبياء عليهم السلام، وجهادهم في دعوة أقوامهم، وكيف أن هؤلاء الأقوام تشتتوا وتقطعوا أمرهم بينهم، وأشركوا بالله عزوجل، بيّن تعالى عاقبة الكافرين يوم القيامة، وأعقب ذلك بتبشير الأنبياء والصالحين بحسن العاقبة في الآخرة، فقال: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى...). (٢)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٣٣٣/٥.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م)، ص ٥١٨– ٥٣١.

والآية موضع الشاهد، قيل إنها جواب عن سؤال عمّن عُبد من الصالحين من الأنبياء والملائكة وغيرهم من دون الله، هل هم من حصب جهنم؟ وقيل إن قوله: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) جملة مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا، ولا علاقة لهذه الجملة بجملة ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾، بل الوعد عام يعم كل مؤمن مات على الإيمان والعمل الصالح[١]. وأشير إلى هؤلاء بالموصول (أولئك)؛ للإيماء إلى أن سبق تقدير الهداية المعبر عنها بـ (الحسنى) هو سبب فوزهم، ولتمييزهم بالحالة الحسنة، وبما سيسند إليهم من أوصاف، واختير اسم الإشارة للبعيد (أولئك) للتنويه ببعد منزلتهم (عنها) أي عن نار جهنم[٢]، و﴿الحسنى﴾ اسم تفضيل صفة لموصوف محذوف تقديره (المنزلة) أي الحكم بالموعدة البالغة في الحسن[٣]، ثم ذكرت المسافة الموصوفة بالبعد لبيان طرف من الوعد الذي بشروا به، في قوله: ﴿مبعدون﴾ أي: مبعدون عنها بعدًا شديدًا، لمسافة غير محدودة، بحيث لا يرونها ولا يروعهم منظرها، ولا ينالهم شيء من حرها، ولا يسمعون صوتها، وهذا من كمال النعيم، فإن النفس الإنسانية السوية تغتم لرؤية البؤس والعذاب حتى لو لم يلحقها منه شيئا. وللتأكيد على أن هذا البعد دائم وثابت، عُبّر عنه باسم الفاعل (مبعدون)، وجاءت جملة: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ للتأكيد على شدة هذا البعد أيضا.

---

(١) ينظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ١٤٢٠ ه)، /٣١٨، و مدارك التنزيل (تفسير النسفي)، حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ٤٢٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور، ١٥٦/١٧.

(٣) ينظر: نظم الدرر، ٤٨٤/١٢، وتفسير الطنطاوي، ٢٥٤/٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والحسيس صوت يحس به، وعدم سماعهم لصوتها دليل على شدة البعد، لأن الصوت يبلغ إلى السمع أبعد مما يبلغ المرئي إلى النظر.(١) وهو ما يبين علاقة المسافة بالمقام، فالمقام مقام تنعم وسرور يناسبه البعد عن كل ما يثير البؤس والضيق.

وهنا نجد أن المسافة وُصفت بالبعد في مقام الترغيب، أي على النقيض من القرب الذي وُصفت به المسافة في المواضع الآنفة، ليتبيّن أن السياق هو الدالّ على كون المقام مقام ترغيب أو ترهيب، لا الوصف المنعوتة به المسافة. وهو الأمر الذي تكشفه الدراسة في أكثر من موضع، ومع أكثر من وصف من الأوصاف المتقابلة.

وجاء تصوير المسافة البعيدة في الآية الكريمة آنفة الذكر من خلال الوصف، والنظم الذي وردت فيه المسافة، مما أبرزها على خير وجه.

وورد ذكر المسافة أيضا في مقام الترغيب بالهجرة إلى الله ورسوله، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، فبعد أن رهّب تعالى في الآيات السابقات من ترك الهجرة لله ورسوله مع القدرة، رغّب في الهجرة، وذكر في مقام الترغيب بها ما يهوّن الأمر على المسلم المهاجر ويسريّ عنه، ومن ذلك ذكر المسافة الموصوفة في هذا المقام بالسعة، والسعة تطلق حقيقة على المكان، وتطلق مجازًا على رفاهية العيش، وعلى الخروج من ضيق الهمّ والكرب(٢)، وهو المقصود بها هنا، فالسعة المذكورة في الآية الكريمة هي السعة النفسيّة، تلك السعة

(١) ينظر: تفسير ابن عاشور، ١٥٦/١٧.
(٢) تفسير ابن عاشور، ١٨٠/٥.

النابعة من الإيمان والإذعان لله عز وجل والطمأنينة النفسيّة، فضلاً عن سعة العيش.

فالله تعالى يطمئن عباده المستضعفين في الأرض، الذين يُحارَبون في دينهم، ويُضيّق عليهم في معيشتهم، بأن البديل أرض الله حيثما كانت، فلئن تعذرت على مسلم عبادة الله في أرض فليرتحل منها إلى أرض أخرى؛ تكون العبادة فيها لله وحده؛ فأماكن العبادة ومواضعها واسعة، والمعبود واحد.[١]

فسعة الأرض الحقيقة كما يصورها القرآن الكريم هنا ليست بمقدار طولها وعرضها من ذراع وباع، وإنما بقدر ما يتوافر فيها من أمان للمؤمن، وحرية في إظهار التوحيد وإقامة الدين.

والمسافة في الآية الكريمة الموصوفة بـ(الواسعة) موحية بدلالة اللفظ وظلاله بالكثير من المعاني التي تتداعى إلى ذهن المتلقي القلق، المتحير في أمره، فتبعث فيه التفاؤل والاطمئنان، وتمده بالقوة لاتخاذ القرار الصعب بالاغتراب عن المكان المألوف إلى مكان آخر غير معروف، فالسعة راحة، ووفرة في الخير، وحرية، وانطلاق، وفرص متاحة لبناء الحياة، ومما عزز هذه المعاني وغيرها مما قد يتوارد إلى الذهن حذف صفة الموصوف (السعة)، لينبري المتلقي في تقدير الصفة المناسبة، فيقدرها بـ(كثيرة) مثلا، كما وُصف المراغم قبلها بالكثير، أو يقدرها بـ(عظيمة)، أوما شابه ذلك من الصفات المرغِّبة المناسبة للسياق.

ومن التعبير بالمسافة في مقام الترغيب بالمغفرة، وصفها بالسعة كذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ

(١) تفسير السعدي، ص٦٣٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، فبعد أن ذكر الله تعالى في الآية السابقة جهالة أولئك الكفرة الذين ينكرون البعث والحساب، ويجعلون الملائكة بنات الله -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- أخبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه، وأنه يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء، فيجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى[١]، والمحسنون هم الذين وردت أوصافهم في الآية الكريمة الآنفة: (الذين يجتنبون...)، ولما ذكر سبحانه أن هؤلاء المحسنين قد يقع منهم اللمم، وكان الملوك -كما ذكر الإمام البقاعي-: "لا يغفرون لمن تكررت ذنوبه إليهم وإن صغرت، فكأن السامع يستعظم أن يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا، علل ذلك بقوله: ﴿إن ربك﴾ أي: المحسن إليك بإرسالك رحمة للعالمين، والتخفيف عن أمتك، ﴿واسع المغفرة﴾، فهو يغفر الصغائر حقًّا أوجبه على نفسه، ويغفر الكبائر إن شاء، بخلاف غيره من الملوك، فإنه لو أراد ذلك ما أمكنه أتباعه، ولو جاهد حتى تمكّن من ذلك في وقت، فَسَدتْ مملكته، فأدّى ذلك إلى زوال الملك من يده، أو اختلاله"[٢]، فالتعبير بالسعة على سبيل الاستعارة جاء في موضع التعليل؛ لتصوير كثرة المغفرة المعنوية، وإبراز هذه الكثرة في صورة محسوسة، فالواسع كما يقول ابن عاشور: "الكثير المغفرة، استعيرت السعة لكثرة الشمول؛ لأن المكان الواسع يمكن أن يحتوي على العدد الكثير ممن يحل فيه".[٣] فكأن المغفرة تحولت إلى مكان واسع ممتد طولاً وعرضًا إلى ما لا نهاية، يحلّ فيه المستغفرون

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ٤٢٦/٧.
(٢) نظم الدرر، ٦٨/١٩.
(٣) تفسير ابن عاشور، ٢٧/ ١٢٣.

من عباد الله، فيتقبلهم الله تعالى برحمته وفضله، ويستر زلاتهم، ويتجاوز عن خطيئاتهم.

وورد التعبير في الآية الكريمة عن السعة باسم الفاعل (واسع) لإفادة الثبوت والاستمرار، ثبوت هذه المغفرة الممتدة، وأنها لا تحول ولا تزول، إضافة إلى ما تحققه الاستطالة الصوتية في هذه الصيغة الصرفية من دلالة على الاتساع، ترفد المعنى الاستعاري، وتوجه المتلقي نحو الثقة برحمة الله دائمًا، والمسارعة في التوبة، وعدم القنوط من المغفرة وإن تكرر الذنب، فالخطاب هنا للمخاطَب المستعظِم لذنبه، الخجل من خطاياه، الذي قد يشك في شمول مغفرة الله له، فجاء دفع الشك، والتأكيد على دخوله في زمرة المغفور لهم ما كان من صغائر ذنوبهم بشيئة الله من خلال الاستعارة المتولدة عن وصف المغفرة بالسعة.

من خلال ما تقدم من شواهد تبين لنا أن المسافة بأنواعها: (العريضة، والقريبة، والواسعة، والبعيدة) كانت حاضرة في مقامات الترغيب المختلفة، سواء ما تعلق من هذه المقامات بالعقيدة والإيمان باليوم الآخر وعالم الغيب فيه، أو ما تعلق بالآداب والأخلاق كما في قصة نبي الله إبراهيم مع الملائكة الكرام، أو ما تعلق بالطاعات من أمور قلبية كالتوبة، أو ما تعلق بها من أمور عملية كالهجرة.

وكانت المسافة عنصرًا أساسيًّا في كل موضع، وُظفت معنويًا ولغويًا لتحريك الخيال، وإقناع العقل، وخلق الأثر النفسي والعقلي والسلوكي العملي المطلوب في كل مرة، كالتشويق إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أو التشويق إلى جنة عالية ثمارها دانية، أو الحث على التخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام في إكرام الضيف، أو الحث على الفوز بالبعد عن النار

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأهلها، أو طمأنة النفوس القلقة المتحيرة في أمر الهجرة بوعد إلهي بسعة في العيش والشعور، أو الحضّ على التوبة لأن مغفرة الله واسعة تسع جميع المذنبين.

واتخذ تصوير المسافة في تلك المواضع أنماطا عدة، مثل: الاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتصوير بالتأليف والنظم، والتصوير بالقص، والتصوير بالوصف، وإيحاء الكلمة وظلالها.

المبحث الثاني

تصوير المسافات في مقام الترهيب

الترهيب أيضا مقام من المقامات البارزة في القرآن الكريم كانت المسافة حاضرة فيه. وكما أن الترغيب يشمل نعيم الدنيا والآخرة وسعادتهما، فإن الترهيب كذلك يشمل نقمة الدنيا والآخرة وشقاءهما، فقد وعد الله المؤمنين الصادقين بالاستخلاف في الأرض، والعزة والحياة الطيبة والجنة، والرضوان في الآخرة، والبعد عن النيران، وتوعد العاصين بالخزي والذل، والضيق، والحسرة، وضنك المعيشة في الدنيا والآخرة، وبالنار وألوان العذاب فيها في الآخرة(١).

ومن ذلك، الترهيب من الاغترار بالكثرة، كما قوله تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، حتى في يوم (حنين) الذي اغتر فيه نفر من المسلمين بكثرتهم وقالوا: لا نُغلب اليوم من قلة، فشاء الله أن ينزل بهم الهزيمة في أول الأمر؛ تهذيبًا للنفوس التي تعلقت بأسباب الدنيا، حتى ضاقت عليهم الأرض على رحبها وسعتها(٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، مثّل المولى جلّ شأنه في هذه الآية الكريمة لحال المسلمين لما اشتد عليهم البأس والرعب يوم حنين، فاضطربت مشاعرهم، وتشوشت أفكارهم،

---

(١) ينظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، (مصر: دار الاعتصام، ط٤، ١٣٩٩-١٩٧٩م)، ص ١٩٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، ٨/١٠٠-١٠١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ورجفت قلوبهم، ولم يجدوا موضعًا يحصنهم من عدوهم، ولا سبيلاً للخروج والفرار، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيقة خانقة مؤصدة عليه، في حين أنها رحبة واسعة لا ضيق فيها، فالتركيب: (ضاقت عليهم الأرض) "استعارة تمثيلية، تمثيلاً لحال من لا يستطيع الخلاص من شدة بسبب اختلال قوة تفكيره، بحال من هو في مكان ضيّق من الأرض، يريد أن يخرج منه فلا يستطيع تجاوزه، ولا الانتقال منه".(١)

فالمسافة الموصوفة بالضيق في الآية الكريمة استعملت لتصوير مشاعر الخوف، والقلق، والارتباك، والتخبط التي ينعدم معها التقدير الصحيح للأمور، مما يجعل الخيال يرسم صورًا غير صحيحة لما يحيط به، فيرى الواسع ضيّقًا، والممكن مستحيلاً، والسهل صعبًا، والقريب بعيدًا، خاصة أن الذكر الحكيم لم يحدد لنا مقدار هذا الضيق، فإن الضيق درجات، مما يجعل النفس تذهب في تقديره كل مذهب، في ربط مباشر بين شعورين: الشعور بالاغترار والزهوّ بالكثرة، الذي يمثّل مستهل قصة حنين في هذا الموضع من القرآن الكريم، وما ترتب على هذا الشعور من قول وعمل، والشعور بالضيق والألم والهمّ، الذي يمثل الجزاء والعاقبة.

والآية الكريمة بما تضمنته من تمثيل بالمسافة قدمت مثالاً حيًّا من واقع غزوة حنين على أن الإنسان إذا اغتر بشيء من الدنيا وركن إليه، وكله الله إليه، فخسر وخاب، فإذا ما تضرع لربه وعاد إليه، آتاه الله الدنيا والدين، فإن المسلمين لما تضرعوا إلى الله بعد هزيمتهم في أول الغزوة قوّاهم الله، ونصرهم، وأمدّهم بملائكة من عنده. ويلاحظ أن الله تعالى أوجب في المقطع المتقدم على هذه الآية الإعراض عن مخالطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وعن الأموال والتجارات والمساكن، رعاية لمصالح

(١) تفسير ابن عاشور، (١٠/ ٢٧٥).

الدين، ولما علم الله تعالى أن هذا يشق جدًّا على النفوس والقلوب، ضرب هذا المثل، تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن، لأجل مصلحة الدين وتصبيرًا لهم عليها، ووعدًا لهم بأنهم إن فعلوا ذلك تكفّل الله تعالى بوصولهم إلى أقاربهم، وأموالهم، ومساكنهم على أحسن الوجوه، كما تكفّل بنصر المسلمين يوم حنين بعد هزيمتهم لما توجهوا لربهم ضارعين، مخلصين، متجردين من كل حظوظ الدنيا(١).

ويقول تعالى في السورة نفسها في مقام الترهيب من التخلف عن رسول الله عليه السلام، والتأخر عن نصرة الدين وقت الشدة، وتصوير ما يتبع ذلك من مشاعر الغمّ والهمّ والكرب: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧ – ١١٨].

فضيق الأرض هنا أيضا جاء على سبيل التمثيل لا الحقيقة، فالأرض لم تضق، لكنهم تخيلوها ضيقة مع سعتها ورحابتها؛ بسبب إعراض الناس عنهم وتجنبهم لهم؛ وليؤكد الله تعالى أن هذا الضيق ليس ضيقًا حقيقيًا في المحل والموضع، ولكنه ضيق معنويّ شعوريّ في الصدر، أتبع الإشارة إليه بقوله: (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ)(٢)، أي ملأها الهمّ والغمّ والوحشة، فما عاد فيها متسع للأنس ولا السرور، ثم كانت توبة الله عليهم، والانفراج والسرور.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي، ١٨/١٦.

(٢) ينظر: نظم الدرر، ٩/ ٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالتعبير -كما نرى- في الآيات الكريمات السالفة لا يدل على ضيق المسافة الحسيّة، وإنما على المسافة النفسيّة الشعوريّة، المرتبطة بمستويات الطاعة والقرب من الله، والامتثال لأوامر نبيه عليه السلام.

وورد التعبير بالمسافة ووصفها بالبعد، وبالضيق في القرآن الكريم في مقام الترهيب من جهنم- أعاذنا الله منها-، وبيان شدة تغيظها من الكافرين، في قوله تعالى:﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٢ -١٣]، حيث يحكي الله تعالى عن حال الكافرين أولاّ في أرض المحشر، عندما تراهم النار من مسافة بعيدة، فتزفر وتتغيظ، ويُسمع لها صوت يشبه صوت المتغيظ الغضبان.(١)

قال أبو السعود: "في قوله تعالى :﴿من مكان بعيد﴾ إشعار بأن بُعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة، وفيه مزيد تهويل لأمرها"(٢)، فالبعد هنا مطلق وغير محدود، وسماع أهل النار لشهيقها وزفيرها من هذا المكان البعيد دليل على شدته -والعياذ بالله- فالمسافة الموصوفة بالبعد هنا صورت لنا بمؤازرة ما جاورها من ألفاظ شدّة الهول الذي يعيشه أهل النار يوم القيامة، فجهنم تنتظرهم، وتتربص بهم، كما يتربص السبع بفريسته، ولتأكيد ذلك أُسندت الرؤية في (رأتهم) لها وليس لأهلها، على سبيل المجاز العقلي، وربما كان إسنادا حقيقيا، بأن يخلق الله لها عينًا تبصر بها، ويجعل لها صوتًا يُسمع،

(١) ينظر: تفسير الرازي،٢٤/٤٣٨.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ٦/٢٠٦.

وهو ما قال به نفر من المفسرين.[١] "والتعبير بقوله – تعالى–: (من مكان بعيد) يزيد هذه الصورة رعبًا وخوفًا"[٢]، حيث "جعل إزجاؤهم إلى النار من مكان بعيد زيادة في النكاية بهم، لأن بعد المكان يقتضي زيادة المشقة إلى الوصول، ويقتضي طول الرعب مما سمعوا"[٣].

وهي لشدة غيظها غضبًا لربها لا تتنظر قربهم لتزفر، بل تهيج وتنفث غضبها من مسافة بعيدة، فيسمعون ذلك فيغشاهم الخوف والهول.

ثم بعد أن وصف الله حال الكافرين وهو بعيدون عن جهنم، وصف حالهم عندما يستقرون فيها – والعياذ بالله– فوصف المكان الذي يلقون فيه بالضيق، مما يزيد كربتهم كربة، وبلاءهم بلاء، ومحنتهم محنة، محنة العذاب، ومحنة الضيق الحسيّ والمعنويّ، "فإن الكرب مع الضيق، كما أن الرَّوح مع السعة" [٤]، فهو مكان ضيّق مكتظ، والضيق والاكتظاظ يستلزمان الظلمة وتقييد الحركة، وصعوبة التنفس، فضلاً عن الخوف والذل والكربة، فالتصوير بالمسافة هنا أوحت به ظلال الكلمة في هذا السياق. فالألفاظ في القرآن الكريم "ليست جامدة، بل هي ألفاظ حية، لها ظلالها، وإيحاءاتها، وقد هيأ التعبير القرآني للألفاظ نظامًا ونسقًا وجوًا ملائمًا على أحسن ما يكون، فسمح للألفاظ بأن تشعّ، وتوحي بالظلال والصور، وتتناسق مع الجو النفسيّ أو الشعوري العام الذي يرسمه".[٥]

---

(١) ينظر: تفسير الرازي،٤٣٧/٢٤، وتفسير القرطبي،٧/١٣، وتفسير أبي السعود، ٢٠٦/٦.
(٢) تفسير الطنطاوي، ١٧٨/١٠.
(٣) تفسير ابن عاشور، ٣٣٣/١٨.
(٤) تفسير أبي السعود، (٦/ ٢٠٦).
(٥) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص ٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ووردَ التعبير بالمسافة كذلك في مقام الترهيب من التكبر والغرور والخيلاء والتعالي على الخلق، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧]، المقصود بالمرح هنا

-كما قال المفسرون- التكبر والخيلاء، وفي الآية نهي عن المشي بالصفة المذكورة، وعُلل النهي ببيان ما عليه الإنسان من عجز وضعف، فهو حال الانخفاض لا يقدر على خرق الأرض، أي: نقبها، وقيل المراد بالخرق قطع مسافة الأرض، وحال الارتفاع لا يقدر على أن يصل إلى رؤوس الجبال، والتكبر إنما يكون بكثرة القوة، وعظم الجثة، وكلاهما مفقود، وفي ذلك تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه، ومشيه على أطراف قدميه(١). أما لفظ الأرض في الآية فكان وروده مناسبًا للمقام، إذ فيه تذكير للإنسان بالمبدأ والمعاد، المانعين من التكبر(٢).

الآية إذن -كما نرى- تصور بألفاظ الحقيقة مشهدًا حسيًّا يقوم على المقارنة بواسطة المسافة الموصوفة بالطول بين المتكبر والجبال، مقارنة تظهر التباين الشاسع في الطول والقوة بينهما؛ تقريعًا وتهكمًا وسخرية ممن يبارز الخالق جل شأنه، ويتمرد على أمره ونهيه، ويتعالى على خلقه، وهو بمثل هذا الضعف والعجز الجسدي.

وفي مقام الترهيب من التكبر والإعراض عن الله تعالى أيضا جاء وصف المسافة بالعرض في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ

(١) ينظر: تفسير البغوي، ١٣٣/٣، وتفسير الطنطاوي، ٣٥٣/٨.
(٢) ينظر: تفسير الرازي، ٣٤٢/٢٠، وتفسير أبي السعود، ١٧٢/٥، وتفسير الطنطاوي، ٣٥٣/٨.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].فبعد أن حكى الله تعالى في المقطع السابق في السورة الكريمة أقوال الذي أنعم عليه بعد وقوعه في الآفات، حكى شيئا من أفعاله في هذه الآية ، فكنّى عن تكبره وإعجابه بنفسه وقت النعماء بحركة جسدية هي الإعراض والنأي بالجانب، أي التباعد والتولي بالشق(١)؛ لتبدو المفارقة الصارخة بين الإنعام من الله والإعراض من الجاحد(٢)، ثم استعار (المسّ) لقليل الشر والضر الذي قد يلحق به؛ لتظهر قلة حيلة الإنسان ، وعدم قدرته على دفع الأذى عن نفسه بحوله وقوته، مهما كان الضر يسيرًا.

ونُكّر الدعاء للتكثير، والتنكير هنا مناسب لمقام الفزع الذي يصيب الجاحد حين يمسه الضر، كما نكرت صفة الدعاء (عريض) للدلالة على الكثرة المتناهية.

وآثر التعبير القرآني في هذا المقام لفظ (دعاء) على لفظ (نداء) مثلا؛ لأن النداء عبارة عن رفع الصوت بما له معنى، في حين أن الدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، والرفع والخفض أدل على الاستمرار، واللهفة، والإلحاح في الدعاء(٣)، حال النعاس واليقظة، والنشاط والخمول، والخلطة والخلوة.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي، ٢١/٣٩٠.

(٢) ينظر: المفارقة القرآنية، محمد العبد، (مصر: دار الفكر العربي، ط الأولى، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م)، ص ٢٠٩.

(٣) ينظر: المفارقة القرآنية، ص٢١٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونُعت الدعاء بالعريض دون الطويل؛ طلبا للإيجاز؛ لأن كل ما له عرض له طول ولا ينعكس -كما أشار المفسرون-[١] وهذا النعت -كما ذكر ابن عاشور-: "استعارة؛ ...والشيء العريض هو المتسع مسافة العرض، فشُبّه الدعاء المتكرر المُلح فيه بالثوب أو المكان العريض"[٢]، فالدعاء تحوّل بهذه الاستعارة من كونه شيئًا معنويًا لا يُدرك بالحواس، ليصبح جسمًا له عرض قابل للقياس، إذ العرض من خصائص الأجسام المحسوسة، وهنا التقى -عن طريق الاستعارة- طرفان: (الدعاء، والجسم ذو العرض) في فضاء الممكن والمحتمل الذي توفره الاستعارة، فصار الدعاء بذلك أمرًا محسوسًا، يمكن إدراكه، ومعاينة سعته، وملاحظة امتداده الذي لم يحدد في الآية الكريمة بنهاية؛ لتكون الصورة أبلغ في التأثير، وأوقع في الحسّ، وأُبين لتناقض النفس المذكورة في الحالين: (النعماء/ والضراء)؛ لحمل الإنسان على إعادة بناء علاقته مع ربه المنعم عليه بناء سليمًا خاليًا من التكبر والغرور. وقال الإمام البقاعي إن نُعت الدعاء بـ(العريض) جاء على سبيل الكناية عن صفة النهاية في الكثرة[٣].

إذن هي صورة العرض التي كُسي بها الدعاء، حتى كأنه تحول (أي الدعاء) إلى مسافات واسعة تتمدد عرضًا بما يماثل إلحاح الداعي في دعائه،

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ط الأولى، ١٤١٨ه)، ٧٤/٥-٧٥، والبرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط الأولى،١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م)، ٤٠٣/٣، وتفسير الآلوسي، ٦/١٣.

(٢) تفسير ابن عاشور، (١٥/٢٥).

(٣) ينظر: نظم الدرر، ٢٢٢/١٧.

وشدة طلبه ورجائه، وعدم فتور لسانه ولا قلبه عن الدعاء طرفة عين؛ لبيان حاجة الإنسان إلى ربه، ورجوعه إليه عند المحن ذليلاً بعد النأي والتكبر والاغترار بالنعمة.

وجاء التعبير بالمسافة الموصوفة بالبعد في مقام الترهيب من العذاب يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، حيث يحاجج الله تعالى في هذه الآية كفار قريش الذين يختلقون الأعذار والحجج الباطلة، ويتعللون بالعلل الواهية؛ لتسويغ تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به؛ حتى لا يظهروا بمظهر العاجز المنهزم، وقد تحداهم الله تعالى في مطلع السورة بتأكيد تمام بيان كتابه وفصاحته، ومن ثم يقول لهم سبحانه في هذه الآية مبطلاً لحجة أخرى من حججتهم في عدم التصديق: لو كان القرآن الكريم على سبيل الفرض والتقدير أعجميًّا، ونزل على رسول عربي، لقلتم استنكارًا: (أأعجمي وعربي؟!)، ولصحّ لكم أن تقولوا :﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ أي: من هذا الكلام، ﴿وفي آذاننا وقر﴾ منه؛ لأنّا لا نفهمه، ولا نفقه أحكامه، أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب- وأنتم أهلها- فكيف يمكنكم ادّعاء أن قلوبكم في أكنّة منها، وفي آذانكم وقر منها؟! فالحال أن جدالكم ما هو إلا جدال التعنت والعناد، لا نقاش من يطلب الحق ويسعى إليه(١).

(١) ينظر: تفسير الطبري ٤٨٢/٢١، تفسير الرازي٥٧٠/٢٧، تفسير ابن عاشور، (٣١١/٢٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم يمثل الله حالهم بحال من يُنادى من مكان بعيد، فـ "الكلام تمثيل لحال إعراضهم عن الدعوة عند سماعها بحال من ينادى من مكان بعيد، لا يبلغ إليه في مثله صوت المنادي... وتقول العرب لمن لا يفهم: أنت تنادى من مكان بعيد "[١].

فإدراج المسافة الموصوفة بالبعد في الآية الكريمة ضمن هذه الصورة التمثيلية مقصود لبيان شدة انطماس بصائر هؤلاء، فمثلهم مثل من لا يفقه من نداء المنادي شيئا لبعد المسافة. وأضاف الضحاك ملمحًا بديعًا يفاد من التعبير بالمسافة في هذا الموضع، فقال: "ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد، فيكون ذلك أشد لتوبيخهم وفضيحتهم".[٢]

إنه الخزي والعار الذي يلحق بهم يوم القيامة، عندما ينادون من مسافات بعيدة فيسمع غير المعنيين بالنداء من الناس قبح ما ينادى به أهل الضلال[٣]، فينفضح هؤلاء الذين كانوا يستترون في الدنيا خلف كبريائهم وعنادهم وطواغيتهم الباطلة، فلا يحجب فضيحتهم شيء، ويعلم سوء حالهم كل أحد إلا هم، فكما أصمّوا آذانهم، وأغلقوا قلوبهم وعقولهم عن الحق في الدنيا، ستكون عاقبتهم البلادة في الآخرة.

ويأتي التعبير بالمسافة الموصوفة بالبعد في القرآن الكريم مرة أخرى في مقام الترهيب من عذاب الآخرة أيضا، لبيان ما يخالط النفس من مشاعر

---

(١) تفسير ابن عاشور، (٣١٦/٢٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أبي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م)،١٥/٣٧٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبري،٢١/٤٨٥.

وانفعالات، مثل مشاعر اليأس والحسرة والضيق، ومن ذلك قوله تعالى في تصوير عذاب الكافرين المعرضين: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٨].

يذكر الله تعالى في هذه الآية حال الكافرين المعرضين عن ذكر الله وهو القرآن العظيم، الصادين عنه، ويمثل حالهم بحال من عمش بصره، فلازمه هذا العيب الخلقي ليلاً ونهارًا ، فهو لا يبصر الحق، ولا يلتفت إلى آيات الله البينات، ومن كانت هذه حاله فإن الشيطان واجد طريقه إلى قلبه لا محالة، وملازم له ملازمة القرين لقرينه، يحسّن له كل قبيح، ويقبّح له كل حسن، حتى يصده عن دين الله،[1] وجاء التعبير بالأفعال المضارعة (يعش، نقيض، يصدونهم، يحسبون) في ثنايا هذه الصورة لبثّ الحياة والحركة في الأحوال المذكورة، حتى إذا انقضت الحياة الدنيا، وجاء كل كافر مع قرينه يوم القيامة قال له بحسرة، يبرزها التمني في صدر الجملة: (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ)، وبعد المشرقين مثل لشدّة البعد[2]، فالكافر يتمنى يومها أن تكون المسافة بينه وبين قرينه الذي كان يواليه في الدنيا مسافة

(١) ينظر: نظم الدرر، (٤٢٨/١٧)، وتفسير أبي السعود، (١٤٧/٨).
(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور، (٢١٣/٢٥)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سحيقة متناهية في البعد[١]؛لشدة شعوره باليأس والخذلان.

ونلاحظ أن البعد هنا بعد غير محدود، ومسافة هائلة في الحسّ والفكر، جاءت متممة لقصة هذا الكافر، تلك القصة التي ابتدأت فصولها في الدنيا، وانتهت في الآخرة هذه النهاية البائسة، للتدليل على انقلاب الأحوال، وتبدل الموازين، وسقوط كل علاقة في الدنيا لم يكن قوامها التقوى والتواصي بالحق والصبر، فالتصوير هنا ورد في قالب قصصي شائق، كانت المسافة عنصرًا مهمًّا فاعلاً فيه.

وكما نجد حضور المسافة البعيدة في مقام الترهيب، نجد كذلك التصوير بالمسافة القريبة حاضر في مقام الترهيب، كما في قوله تعالى:

---

(١) يذكر أحد الجغرافيين وهو د. محمد عطا مدني ما يدل على شدة هذا البعد الذي يتمنى العاصي والكافر أن يكون بينه وبين قرين السوء في تفسير علمي للمقصود بالمشرقين فيقول: إنه من المعروف "جغرافيا وفلكيا أن الأرض في دورتها حول الشمس تمر بأربعة مواقع رئيسية، يختلف فيها مناخ الأرض، وهي موقع الأرض في الشتاء وموقعها في الربيع، وكذلك موقعاها في الصيف والخريف، وهذه المواقع مسافاتها من الشمس غير متساوية نظرا إلى أن دوران الأرض حول الشمس يحدث في مدار إهليلجي (أي: أقرب إلى البيضاوي)، تقطع الأرض فيه ٩٤٠ مليون كم في عام كامل حول الشمس، حيث تتناوب الفصول الأربعة، ولأن مدار الأرض حول الشمس بيضاوي، فإن الأرض تكون أقرب إلى الشمس في الاعتداليين (الربيع والخريف)، وأبعد من الشمس في الانقلابين (الصيف والشتاء)، وقد تمت قياسات دقيقة من قبل علماء الجغرافيا والفلك لهذه المسافات، اعتمادا على سرعة جريان الأرض في الفضاء حول الشمس، فتبين أن المسافة الأطول هي بين أول شروق للشمس على الأرض في الصيف، وبين آخر شروق للشمس على الأرض في الشتاء، ويبلغ ٤٧٠ مليون كيلومتر، وبما أن محيط الكرة الأرضية يبلغ طوله ٤٠ ألف كيلومتر، فإن المسافة التي تمناها الكافر أن تكون بينه وبين قرينه الذي أغواه تساوي مسافة دورانه حول الكرة الأرضية ١٢ ألف مرة!" مقال بعنوان: تأملات إيمانية في آيات القرآن الكريم (قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)، د. محمد عطا مدني.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٥١ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ﴾ [سبأ: ٥١ – ٥٤].

بعد أن ذكر تعالى في المقطع السابق من السورة الكريمة أن المشركين هم أهل النار يوم القيامة، وذكر ما استحقوا بسببه العذاب من عناد وتكبر، وتقوّل بالباطل على القرآن الكريم، وذكرهم بما حلّ بالأمم السابقة المكذبة من عذاب، وأنذرهم بسوء العاقبة، بيّن لهم ما سيكون عليه حالهم حين يعاينون العذاب يوم القيامة، حين يأخذهم الله أخذًا أليمًا، فيفزعون، ويعلنون إيمانهم، وأنّى لهم قبوله وقد فات الأوان، وبعدت عنهم دار الدنيا؟ وهم من كانوا يرجمون بظنون لا مستند لهم فيها، فيقذفون الرسول صلى الله عليه وسلم والذكر الحكيم بالباطل ليدحضوا به الحق.(١)

للمسافة – كما نرى– حضور قوي في هذا المشهد الغيبي الذي عبّر عنه الذكر الحكيم بالأفعال الماضية للجزم بوقوعه، فكنى بالمسافة الموصوفة بالقرب (وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ) عن سهولة الأخذ وأنهم لا يجدون مهلة لتأخير العذاب،(٢) والمكان القريب قيل المقصود به: أرض المحشر التي يأخذون منها إلى جهنم، وقيل المكان القريب: ظهر الأرض يأخذون منها عند الموت إلى بطنها، وقيل المكان القريب: صحراء بدر أخذوا منها إلى القليب.(٣)

(١) ينظر: تفسير السعدي، ص ٦٨٢-٦٨٣.
(٢) ينظر: نظم الدرر،٥٣٦/١٥، وتفسير ابن عاشور، ٢٤٢/٢٢.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي، ٢٥١/٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ كانت المسافة الموصوفة بالبعد جزءًا من التشبيه التمثيلي، إذ مثّل حالهم وهم يطلبون النجاة بإعلان الإيمان بعد فوات الأوان، وبعد دار العمل بحال من يريد تناول الشيء البعيد كما يتناوله القريب بيسر وسهولة،(١) وهما حالان لا يستويان عند ذي لبّ.

ونلاحظ الطباق بين (مكان قريب)، و(مكان بعيد)،(٢) الذي أسهم في إبراز الصورتين المتضادتين، صورة قرب المأخذ الأليم، وصورة بعد دار العمل وما تمثله من شعور بالحسرة.

وكانت المسافة الموصوفة بالبعد في قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ جزءا كذلك من التشبيه التمثيلي في الآية الكريمة، حيث مثل حالهم في رميهم رسول الله والقرآن الكريم بتهم مظنونة أبعد ما تكون عن الحق، بحال من يقذف شيئا وهو غائب عنه لا يراه، فلا سبيل له إلى إصابته البتة.(٣)

من خلال ما سبق يتبيّن دور المسافة في الصورة القرآنية في مقامات الترهيب، إذ كانت حاضرة وفاعلة في المعنى، وفي بناء الجملة اللغويّ -كما هو الحال في مقامات الترغيب-، وتولد عنها الأثر العقليّ والنفسيّ والعمليّ المطلوب في كل مرة، فورد التصوير بها في مقام الترهيب من الاغترار بالكثرة، وهو من الأمور النفسيّة الدنيويّة، وفي مقام الترهيب من المعاصي

(١) ينظر: نظم الدرر، ٥٣٧/١٥.
(٢) ينظر: تفسير ابن عاشور، ٢٤٤/٢٢.
(٣) ينظر: نظم الدرر، ٥٣٨/١٥.

التي منها التخلف عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتكبر والغرور، وفي مقام الترهيب من النار وعذابها – أجارنا الله منها- وهو أمر يتعلق بالإيمان باليوم الآخر وما فيه من الغيب.

ونُعتت المسافة في هذه المواضع بنعوت متعددة، مثل: القرب والبعد، والضيق، والطول، والعرض.

واتخذ التصوير فيها أنماطًا متنوعة، مثل: الاستعارة، والتشبيه التمثيلي، والكناية، والتصوير بالوصف، وبإيحاء الكلمة، والقصّ المدعم بالاستعارة والتمثيل، كما في قصة حنين، وفي قصة جهنم مع أهلها يوم القيامة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

من خلال دراسة صور المسافة في الذكر الحكيم في مقامات الترغيب والترهيب توصلّت الدراسة إلى النتائج الآتية:

-ورد تصوير المسافات في مقامات الترغيب والترهيب المتعلقة بالعقيدة وما يتصل بها من الإيمان بعالم الغيب من الجنة والنار، وكذلك في مقامات الترغيب والترهيب المتعلقة بالآداب والأخلاق، والمتعلقة بالطاعات والمعاصي الدنيوية.

- اُستعملت عدة أنماط في تصوير المسافة في مقامات الترغيب والترهيب، مثل: الاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتصوير بالوصف والنظم، وبإيحاء الكلمة وظلالها الدلالية، وبالقص، ووردت هذه الأنماط بشكل متقارب في المواضع المدروسة، ولم يظهر إيثار استعمال لون بعينه في مقام دون آخر.

- كان ذكر المسافة جزءًا أساسيًّا من أجزاء الصورة، وليس عنصرًا هامشيًّا.

- وظّف الذكر الحكيم المسافات في مقامات الترغيب والترهيب لإحداث الأثر النفسيّ والعقليّ والعمليّ لدى المخاطَب، وتحريك الخيال، والدفع إلى العمل أو الترك وفقًا لما يقتضيه السياق.

- وُصفت المسافات في مقامات الترغيب بالعرض، والسعة، والقرب وما في معناه من الإزلاف والدنو، وبالبعد، والسعة، ولم يرد وصفها بالطول ولا بالضيق. ووصفت المسافات في مقامات الترهيب بالطول، والعرض،

والقرب، والبعد، والضيق، ولم يرد وصفها بالسعة- وذلك ضمن حدود الدراسة الآنف ذكرها في المقدمة-.

- لا تخضع المسافات في القرآن الكريم في مقامات الترغيب والترهيب للقياس بوحدات القياس المعروفة، بل هي مسافات مطلقة غير محدودة في الغالب، وهذا الإطلاق يضفي عليها ظلالاً متسقة مع المقامات التي وردت فيها، متناسبة مع السياق والغرض من الصورة.

- دلّت المسافة في بعض المواضع على المسافة الماديّة المحسوسة، وفي مواضع أخرى على المسافة النفسيّة، أي تقدير المرء الذاتي للمسافة بناء على حالته النفسيّة في ذلك الموقف.

- جرى استعمال معظم أوصاف المسافات ذاتها في كلٍّ من مقامات الترغيب والترهيب على السواء، وكان السياق هو الدالّ على كون المقام مقام ترغيب أو ترهيب، فوصف المسافة وُظّف توظيفا متناسبا مع المقام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

١.الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م).
٢.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
٣.أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط١).
٤.أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، (دار الفكر، ط ٢٥، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٥.أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ).
٦.الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي (بيروت: المكتبة العصرية، ط الأولى،١٤٢٢ = ٢٠٠١م).
٧.البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م).
٨.تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور)، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

٩.تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى ، ١٤١٩هـ).
١٠.التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (الفجالة-القاهرة: دار نهضة مصر، ط الأولى، د.ت).
١١.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت:٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ٢٠٠١م).
١٢.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).
١٣.جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
١٤.الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أبي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط الثانية، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م).
١٥.جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط الأولى، ١٩٨٧م).
١٦.الجواهر الحسان، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٧.الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ).
١٨.دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، (الدار البيضاء –بيروت: المركز الثقافي العربي، ط الأولى ،١٩٩٢م).
١٩.دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، د.عبد الفتاح البرّكاوي، (القاهرة: دار المنار، ط الأولى،١٤١١هـ=١٩٩١م).
٢٠.دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط٣، د.ت).
٢١.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ).
٢٢.سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).
٢٣.شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، (مصر–المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٤٣هـ، ٢٠١٣م).
٢٤.شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، وابن يعقوب المغربي، وبهاء الدين السبكي، (بيروت، مطبعة دار السرور، د.ت).
٢٥.الشعر العربي المعاصر وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط٣، د.ت).

٢٦.الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى صالح، (بيروت– لبنان، الدار البيضاء– المغرب: المركز الثقافي العربي، ط الأولى، ١٩٩٤م).
٢٧.الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرون، (العراق: دار الرشيد للنشر، ط الأولى، ١٩٨٢م).
٢٨.الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، أحمد ياسوف، (دمشق: دار المكتبي، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٢٩.الصورة الفنية في النقد الشعري –دراسة في النظرية والتطبيق، عبد القادر الرباعي، (الأردن: دار جرير، ط الأولى، ٢٠٠٩م).
٣٠.الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري–دراسة في أصولها وتطورها، على البطل، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨١م).
٣١.علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (القاهرة، دار الآفاق العربية، ط الأولى، ٢٠٠٦م).
٣٢.غرائب الصورة القرآنية في تحليل البنية الأسلوبية ودلالاتها البلاغية، أمير فاضل سعد، (الأردن: دار الكتاب الثقافي، ط الأولى، ٢٠٠٨م).
٣٣.فن الشعر، إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط٣، د.ت).
٣٤.قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن٧هـ/١٣م، د. أحمد الودرني، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
٣٥.كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: أحمد حسن بسج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى،١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣٦.لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ).
٣٧.اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (القاهرة، عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).
٣٨.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى،١٤٢٢).
٣٩.مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت– صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م).
٤٠.مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو (بيروت: دار الكلم الطيب، ط الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م).
٤١.معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ١٤٢٠هـ).
٤٢.معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨م).
٤٣.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار)، (دار الدعوة).
٤٤.مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ).

٤٥.المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، (مصر: دار الفكر العربي، ط الأولى، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م).
٤٦.مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، ٢٠٠م).
٤٧.المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: الدار الشامية، بيروت: دار القلم، ط الأولى،١٤١٢ه).
٤٨.مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م).
٤٩.مقدمة في نظرية البلاغة النبوية: السياق وتوجيه دلالة النص، د. عيد بلبع، (بلنسية للنشر والتوزيع، ط الأولى،١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م).
٥٠.مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط الأولى، ١٩٨٢م).
٥١.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٤م).
٥٢.هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، (مصر، دار الاعتصام، ط٤، ١٣٩٩-١٩٧٩م).
٥٣.وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام الراغب، (حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط الأولى، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م).

مقالات الصحف:

- تأملات إيمانية في آيات القرآن الكريم (قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)، د. محمد عطا مدني، (البحرين: صحيفة أخبار الخليج، العدد: ١٥٢٤٣-الثلاثاء ١٧ ديسمبر٢٠١٩م، الموافق٢٠ربيع الآخر ١٤٤١ه).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٠٦٩
٢-	Abstract	٩٠٧٠
٣-	مقدمة	٩٠٧١
٤-	تمهيد : مفهوم الصورة	٩٠٧٦
٥-	المقصود بالمسافة:	٩٠٨٢
٦-	مفهوم المقام:	٩٠٨٣
٧-	المراد بالترغيب والترهيب:	٩٠٨٦
٨-	المبحث الأول : تصوير المسافات في مقام الترغيب	٩٠٨٨
٩-	المبحث الثاني : تصوير المسافات في مقام الترهيب	٩١٠٧
١٠-	الخاتمة	٩١٢٢
١١-	المصادر والمراجع	٩١٢٤
١٢-	فهرس الموضوعات	٩١٣٠